جامعة أبو بكر بلقايد – تلمسان
العلوم الإنسانية و العلوم الاج
قسم الفلسفة

مقياس عن بعد /السداسي الأول : الفلسفة والبيوإتيقا

المستوى: LMDS5

الموسم الجامعي: 2025-2026

الأستاذ المسؤول عن المقياس:د, بن عيسى خيرة.

المحاضرة السادسة: جذور البيوإتيقا

في الحضارات الشرقية القديمة

لم يكن كتاب "فان بوتر" البيوإتيقا: جسر نحو المستقبل" والذي وضع من خلاله مصطلح البيوإتيقا لأول مرة، لم يكن ذلك الكتاب سوى ثمرة عصره، فالتطورات التي عرفتها البشرية في وقته في مجال علوم الأحياء والتكنولوجيا الحيوية، كانت الدافع الأساسي وراء ظهور علم البيوإتيقا كميدان بحث جديد تفرضه التحديات الكبرى التي واجهتها البشرية، وهي علم من شأنه حماية الإنسان وصياغة قانون أخلاقي.

كما وضع عالم اللاهوت الألماني قريتزيهر Fritzjohr (1895-1953) مصطلح "أخلاقيات علم الأحياء" وقد اعتبر بأنه هو المؤسس للأبحاث الأخلاقية في علم الأحياء من خلال مقال عنوانه "الأخلاق الحيوية: نظرة عامة على العلاقات الأخلاقية بين الإنسان والحيوان والنبات" .

وقد دعا في هذا الكتاب إلى توسيع دائر اهتمام الأخلاق وعدم قصرها على الإنسان وحده، وجعلها تشمل كل أشكال الحياة الحيوانية والنباتية.

إلا أن علاقة العلوم الطبية بالأخلاق لم تقتصر على وضع المصطلح أو المطالبة بالتفكير في تحديات البحوث العلمية وأخطارها على حفظ كرامة الإنسان وسلامته، لأن تاريخ الإنسانية حافل بالتحديات التي كانت ولا تزال تفرض نفسها على الإنسان والمرتبطة بوجوده وسلامته وصحته وقيمته ككائن حي، لا جدال في أن البحث الأخلاقي هو بحث متزامن مع وعي الإنسان بكينونته، ومن ثمة لا يمكن الحديث عن بحث أو نظرية تربط بين الإنسان ككائن حي والأخلاق في الفترة المعاصرة فقط أو في ظل التطورات العلمية المتسارعة.

إن الرجوع إلى الحضارات الشرقية القديمة يكشف عن اهتمام الإنسان الشرقي اهتماما بالغا بالأخلاق فقد كان الطابع الغالب والعام عمليا خالصا، وكان للإنسان ككائن حي وكقيمة دور كبير في صناعة فكر يبحث عن الرقي بهذا الإنسان وتحقيق قيمته ووجوده بين جميع الكائنات الحية الأخرى، وإن لم ينشأ ذلك على شكل علم قائم بذاته.

وكمثال على ذلك الحضارة الهندية التي أسست مبادئها على ضرورة احترام الإنسان وأعطت قيمة للحياة، ووضعت مبادئ أخلاقية تحث على ذلك، من ذلك مبدأ "الأهِيمْسَا" Ahimsa، والذي يعني اللاعنف، ينصُّ على احترام كل أشكال الحياة، هذه الأخيرة التي مثلت غاية في ذاتها بل وغاية كونية، وإن كان هذا المبدأ مبنيا على تصور ديني يعتقد أن النفس (الأتمان Atman)هي في الأصل انعكاس للروح الكوني (البراهمان Brahma) ، الذي يعتبر جوهر كوني تشترك فيه جميع الكائنات، وهو ما يؤسس لأخلاق الاتحاد، ويتحول أي أذى للحياة إلى انتهاك للذات الكونية في علاقة تجعل "الأهمسا" اللاعنف، ليس مجرد مبدأ أخلاقي في المجتمع بل مبدأ ميتافيزيقي يؤسس لمعنى الحياة، فأي خلل أو ضرر بالحياة يؤدي إلى اختلال في النظام الكوني .

إن علاقة الطب بالأخلاق كانت ذات اهتمام بالغ في الحضارات الشرقية، وقد كان الهدف من وراء ذلك حفظ كرامة الإنسان واحترام وجوده، فرمزت مهنة الطب إلى الصدق والأمانة، ولم يتوانى "حمورابي" المشرع البابلي الكبير عن كتابة بعض العبارات التي تُقنِّن مهنة الطب، وتحفظ الحياة البشرية وتحترمها، فكانت تلك العبارات بمثابة: "أقدم وأول رمز قانوني سنه حموراني ملك بابل (1750-1795) وحفظ على لوح من الحجر بطول مترين والذي يحفظ حاليا في متحف اللوفر في باريس، ولم يقتصر على تحديد أسعار العمليات الجراحية، بل حدد أيضا العقوبات التي يواجهها أي جراح غير مؤهل (أو غير محضوض)"[1] .

لم تكن ممارسة الطب أمرا بسيطا في الحضارة البابلية فقد كانت تفرض على الطبيب قوانين صارمة مشروطة بضوابط أخلاقية جعلت منها مهنة سامية وصعبة، في كونها تهتم بالإنسان وتحافظ على حياته ووجوده وبقائه السليم كذلك، فقد "ارتبطت الأخلاقيات بالممارسات الطبية، إذ طلب من الأطباء السومريين إتباع أخلاقيات معينة في ممارساتهم ولم يسمح لهم بوصف العلاجات المكلفة، إن لم يكن هناك أمل في تعافي المريض، وبدلا من ذلك عليهم تسهيل أيام المرضى الأخيرة عليهم، وتقديم العزاء لهم وإعطاؤهم تشخيصا صريحا"[2].

---

[1] آن روني، قصة الطب

[2] آن روني، قصة الطب

تؤكد هذه القوانين والضوابط التي كانت تُفرض عند السومريين على الأطباء عن بعد بيوإيتيقي خالص، ما دامت البيوإتيقا تحاول أن تجد حلولا وأن تضع مبادئ لحماية كرامة الإنسان والحفاظ عليه، ثم إن السومريين بهذا المعطى كانوا بالفعل قد فكروا في المشكلات التي يطرحها الطب والصحة وأدركوا أنه يجب ربطها بالأخلاق، وهذا يكشف عن أخلاقيات طبية وإن كانت غير مؤسسة كعلم عند القدماء.